
القيم الفنية والجمالية للفسيفساء البيزنطية بليبيا

(دراسة تحليلية جمالية لفسيفساء قصر ليبيا وفيللا سيرين وزليطن)

✳ د. فضيلة مصباح إسماعيل

الملخص

تعتبر ليبيا مهدا للعديد من الحضارات، فقد نشأت على أرضها حضارات ضاربة في القدم لها فنونها الخاصة بها، التي تميزت بطابعها الجمالي إلى جانب الوظيفي النفعي. ونظرا للانشار الواسع للرسوم والنقوش والمنحوتات الصخرية الموجودة بكثرة في العديد من المناطق الجنوبية لليبيا وجنوبها الغربي بالإضافة الى غالبية السواحل الليبية التي استوطنها على التوالي، الإغريق، والرومان، وحتى البيزنطيين. فقد اقتصر هذا البحث على دراسة فنية ووصفية وتحليلية للوحات من الفسيفساء البيزنطية المتواجدة في (قصر ليبيا - فيلا سلين - صبراتة - شحات - زليطن - الخمس) خلال الفترة مابين (533 م- 642 م). وتحليل الخامات المستخدمة. إن فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا استمدت عناصر تكويناتها من البيئة المحيطة بها. مع وجود علاقة بين لوحات الفسيفساء البيزنطية في جميع الأراضي الليبية، وظهور تأثيرات خارجية أسهمت في تصميم هذه الأعمال الفسيفسائية. ولقد أثبتت الدراسة وجود علاقة بين لوحات الفسيفساء البيزنطية في جميع الأراضي الليبية في الموضوعات المنفذة، سواء كانت موضوعات اجتماعية أو اقتصادية أو رياضية.

*عضو هيئة تدريس كلية الفنون والاعلام جامعة طرابلس ليبيا

مقدمة:

ليس من قبيل المبالغة القول: إن ليبيا مهد الحضارات، فقد نشأت على أرضها حضارات ضاربة في القدم لها فنونها الخاصة بها، التي تميزت بطابعها الجمالي إلى جانب الوظيفي النفعي، وهذا دليل كافٍ على الوعي الجمالي والتذوق الفني لأصحاب تلك الحضارات، ومن أمثلتها الرسوم والنقوش والمنحوتات الصخرية الموجودة بكثرة في جبال أكاكوس، ومساك، وتبيستي وتاسيلي، وفي جنوب وجنوب غرب ليبيا، وهذه الفنون استمدت أصولها من البيئة المحيطة والظروف الاجتماعية التي كانوا يعيشونها، فأنتجوا فناً أصيلاً عبر تعبيراً صادقاً عن الظروف المحيطة . (البلوش: 2003)

كما قامت على أراضيها حضارات قديمة، بعد أن استعمرت غالبية السواحل الليبية واستوطنتها على التوالي، بدءاً من الإغريق والرومان، وحتى البيزنطيين.

ومن ضمن هذه الفنون (فن الفسيفساء) الجدارية والأرضية، التي نحن بصدد البحث فيها، فالفسيفساء أحد أدوات التشكيل في مجال التصوير الجداري لها كل الإمكانيات التصويرية، كما تعد في نفس الوقت من الفنون العريقة التي استخدمت في تزيين كافة أنواع العمائر على مر العصور . (الطنطاوي: 2000م) .

ولكنها لم تزدهر إلا خلال بعض الحضارات القديمة مثل الحضارة اليونانية والرومانية، ومناطق نفوذهما التي كانت منتشرة في أرجاء العالم القديم مثل شمال أفريقيا، كما بلغت أوج ازدهارها خلال الفترة البيزنطية، حيث يوجد الكثير من لوحات الفسيفساء في المتاحف الليبية، في كل من مدن طرابلس وصبراتة وشحات وقصر ليبيا، وأبدع الفنانون في رسمها وفي تشكيل المناظر بقطع من الفسيفساء . (البلوش: 2003).

ومن أجمل لوحات الفسيفساء المعروضة في تلك المتاحف، جاءت من دارة مقامة على تلة تطل على الخليج عند مدينة زليطن، والمعروفة ب (دار بوك عميرا)، فقد قام صاحب هذا الدارة بتزيين المبني بلوحات من الفسيفساء، التي نفذت في أربعة صفوف جسدت مشاهد المصارعة، وكذلك اللوحة المعروفة بالفصول الأربعة . (النيهوم: 1977)، ويلاحظ من هذه اللوحات وغيرها من الفنون التشكيلية الليبية بصفة خاصة وفي شمال أفريقيا عموماً منذ العصر الروماني، كانت تتسم دائماً بالواقعية إلى حد بعيد، فاشتهرت

المواضيع المكتسبة من الحياة اليومية، وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة ومواضيع الصيد (قاسم: 1999)، وفي متحف قصر ليبيا بالجبل الأخضر تعرض مجموعة من رسوم الفسيفساء التي اكتشفت في كنيسة قصر ليبيا أثناء أعمال الحفر التي أجرتها مصلحة الآثار عام 1957 م، هذه الرسوم يعود تاريخها إلى حوالي 539 م تظهر لنا رسوم الفسيفساء المكتشفة في ثلاث أقسام، أولها يؤلف إطارا محيطا بمائدة القرايين وتظهر فيه رسوم الحيوانات، وثانيهما عبارة عن مجموعة من التريعات عددها خمسون، تشكل بساطاً مستطيلاً يغطي نصف بهو الكنيسة، بينما يغطي النصف الآخر ببلاط رخامي، وأما الثالث فيمثل مناظر أشجار ووحوش ومشاهد لصيد الحيوانات. (العوامي: 2003).

وعلى الرغم من تنوع الأبحاث والدراسات المختلفة في تاريخ الفنون في العصور المختلفة والمتفرقة على أرض ليبيا، إلا أنها في انتظار المزيد من الدراسات، وخاصة فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا.

لذلك فإن دراسة وتحليل نماذج من الفسيفساء البيزنطية في ليبيا، والخامات المستخدمة في هذه الرسوم، وكذلك الأسس والعناصر المستخدمة في الرسوم، وأيضاً دراسة طريقة رسم الأشخاص، وتوزيعهم في اللوحة، يمكن من خلالها دراسة القيم الجمالي، والتشكيلية لهذا الفن.

مشكلة البحث:

1- هل اللوحات الفنية الفسيفسائية الموجودة في ليبيا، استمدت العناصر المكونة لرسوماتها والموضوعات التي اتبعت في تصميمها من الطبيعة والبيئة المحيطة بها؟

2- هل هناك علاقات بين اللوحات الفنية الفسيفسائية الموجودة في ليبيا، من حيث الموضوع والتقنيات وغيرها؟

3- هل هناك أي تأثير أو تأثر من الخارج ساعد في تصميم اللوحات الموجودة في ليبيا؟

فروض البحث:

تفترض الباحثة ما يلي :

1. إن فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا استمدت عناصر تكويناتها من البيئة المحيطة بها.

2. وجود علاقة بين لوحات الفسيفساء البيزنطية في جميع الأراضي الليبية.

3. ظهور تأثيرات خارجية أسهمت في تكوين وتصميم هذه الأعمال الفسيفسائية.

هدف البحث:

1. تقديم معلومات عن الفسيفساء البيزنطية في ليبيا، حتى تتوفر لدى الدارسين صورة شاملة عن المكان والزمان والعناصر المصورة الموجودة فيه.

2. القيام بدراسة فنية ووصفية وتحليلية للوحات من الفسيفساء البيزنطية في ليبيا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في :-

1. غنى أرض ليبيا بالآثار الفنية الرائعة، وأخص منها بالذكر فن الفسيفساء، وقلة

الباحثين من الليبيين فنجد أكثر الدراسات إما باللغة الإيطالية أو اللاتينية.

2. ندرة الدراسات الوصفية، والتحليلية للوحات الفسيفسائية الموجودة في ليبيا .

حدود البحث:

1. حدود زمانية:-

يتتبع البحث الفسيفساء في ليبيا من سنة (533 م-642 م) .

2. حدود مكانية:-

يتناول البحث فسيفساء ليبيا في (قصر ليبيا - فيلا سلين - صبراتة - شحات -

زليطن - الخمس) .

منهج البحث

اعتمدت الباحثة في تحقيقها من صحة الفروض على الدراسات التي تفيد في إلقاء

الضوء على فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا،، واتبعت الباحثة المنهج التاريخي

والتحليلي والوصفي، لدراسة جوانب المشكلة بالقدر الذي يسهم في استجلائها.

الدراسات السابقة:

1. نرمين فتحي: تطور فن الفسيفساء في العصر البيزنطي من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، جامعة حلوان كلية الفنون الجميلة قسم التصوير الإسكندرية 2001م.

2. صفاء أحمد عبد السلام: الفسيفساء في ليبيا دراسة لعوامل التلف وطرق العلاج والترميم، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، كلية الفنون الجميلة، الإسكندرية 2013م.

نبذة تاريخية عن نشأة الفسيفساء:

إن كلمة فسيفساء تذكرنا بما تركه الرومان والبيزنطيون من نماذج متنوعة لهذا الفن، ويبدو من الدراسة التاريخية لهذا المجال الفني، انه ازدهر في زمن الرومان والبيزنطيين أينما وجدوا. (طالو: 1999).

يعود هذا الفن إلى ماض بعيد نسبياً، وهو لا يعدو في بداياته أن يكون مجرد عملية تجميع لعناصر معدة لتكسيه مساحة مسطحة أو منحنية، وهناك شواهد على اعتماد السومريين لمثل هذا الأسلوب الزخرفي خلال القرن الرابع قبل الميلاد، ولم يكتسب هذا الأسلوب الزخرفي مكانته الرفيعة إلا في بلاد الإغريق.

ويعود ظهوره في العالم الهيليني إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد عرف في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وامتد استخدامه إلى القرن الأول قبل الميلاد، ومن مزاياه أنه خلف للأجيال اللاحقة لوحات بديعة، تم إنجازها بواسطة حصى الشواطئ، وتمثل هذه اللوحات مشاهد مختلفة لعل أشهرها مشاهد الصراع بين الحيوانات ومشاهد قنص الأسود.

ولم تبلغ الفسيفساء أبعادها الحقيقية إلا بعد ابتكار تقنية جديدة، تتمثل في استبدال حصى الشواطئ بمكعبات منحوتة من الرخام أو من الحجر الكلسي أو من الفخار أو من عجينة الزجاج، وتتحت هذه المكعبات بيد الإنسان وتحضر بأعداد وفيرة، مع الحرص على أن تكون ذات أطراف قابلة للوصل فيما بينها ثم ترصف بحيث تشكل نموذجاً زخرفياً معيناً. (الهرماس: 2004)، فالإنسان طور تقنيات الرسم والتلوين، وفن الزخرفة والتعبير

الجمالي، مع تطوُّر حياته المستقرة واختراعه العديد من الأدوات والصناعات التي جعلت حياته أكثر راحة وأماناً وصحة.

تعود أولى الأعمال المكتشفة التي يمكن اعتبارها سلف فن الفسيفساء إلى معبد الوركاء بمدينة بابل؛ حيث كان سكان بلاد الرافدين أول من استخدم الطوب (أو اللبن) المزجج في تزيين جدران الأبنية بأشكال هندسية متعددة، وكان لهم الفضل في تطوير أساليبه، من حيث المواد المستخدمة التي قاموا بتقليل أحجامها إلى أقل قدر ممكن، حتى تتعدد ألوانه وتصبح الصور أكثر وضوحاً، إضافة إلى مهارة التشكيل وحرفية التركيب، الذي أخرج أبدع لوحاته في باب عشتار، وجدران شارع الموكب وقاعة العرش في بابل.

وقد انتقل هذا الفن خلال القرون التالية إلى آسيا الصغرى واليونان، حيث ذاع صيته واتخذ قوالب فنية جديدة، وتطوَّرت تقنياته وتبلورت أساليبه خلال الحضارة اليونانية ثم الرومانية، غير أن أهم ما سلط الضوء على أهمية فن الفسيفساء عبر التاريخ، هو الاكتشافات المعاصرة التي تمَّت وتتمُّ في سورية وإيطاليا وتركيا واليونان وتونس والأردن وليبيا وغيرها.

إن المتاحف في العالم تزخر اليوم بلوحات الفسيفساء التي تحكي قصص وأساطير وتاريخ هذا الفن عبر العصور، وتقدِّم لنا مشاهد حيَّة من حياة الإنسان القديم في أعماله واهتماماته اليومية أو في فكره وطوقسه وملاحمه، وتسهم اكتشافات علم الآثار في معرفة أهمِّ المراحل التي مرَّت بها تقنيات هذا الفن، وأهمِّ مدارسه وأساليبه والمواضيع التي تناولها عبر عصوره المختلفة.

تعريف الفسيفساء: الفسيفساء كلمة مشتقة من اللغة اليونانية، والمقصود بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بواسطة جمع أجزاء صغيرة ومتعددة، كالزجاج أو الحجر بألوان مختلفة وأحجام صغيرة لا يتجاوز أبعادها سم واحد وتثبيتها إلى جانب بعضها فوق الجص، لتكوين سطحاً من الأرض أو الجدران تكون فيه الموضوعات الزخرفية هي العنصر الرئيسي.

وجاء في لسان العرب تعريف للفسيفساء، على أنها ألوان تتألف من الخرز فتوضع على الجدران يؤلف بعضه على بعض وتركب في جدران البيوت وكأنه نقش مصور.

إن الفسيفساء نوع من الفنون المهمة التي عرفها الإنسان، يقوم أساسه على جمع مكعبات صغيرة من الزجاج والرخام والحجر المتعدد الألوان، وفق شكل مرسوم مسبقا على أرضية أو سطح من الملاط يعد خصيصاً لهذه الغاية. (<http://www.al-hadarat.com/threads/10371>)

تطور فن الفسيفساء في المشرق حتى القرن الثامن الميلادي:

أصبحت الفسيفساء في العصرين اليوناني (333 - 30 قبل الميلاد) والروماني (30 ق م - 313 بعد الميلاد)، ذات تقنية متقدمة جداً، وأصبح لها معلمون وحرفيون مهرة في سورية وبلاد المشرق عموماً، ومن الممكن جداً أن تكون هذه التقنيات قد تطوّرت محلياً في عدة بقاع، ونجد آثارها بشكل واضح في الأراضي الليبية، لذلك تعتبر ليبيا من أغنى المناطق في شمال أفريقيا في امتلاكها لأرضيات وجداريات الفسيفساء، التي جعلت منها مدرسة فنية راقية تمتاز بالتنوع والدقة، فوجهي الحياة المادي والمعنوي كانا متواجدين في فن الفسيفساء في الأراضي الليبية، وهو محصلة ونتاج تطور هذا الفن عبر التاريخ الإنساني. (ابوزعنين: 2006).

أنواع لوحات الفسيفساء في ليبيا:

توجد في الأراضي الليبية ثلاثة أنواع من لوحات الفسيفساء، (الجدارية والأرضية)، التي تعتبر محصلة مراحل التطور عبر الزمن في العالم القديم .

النوع الأول : يعرف باسم (أوبوستيسلاتوم):

هي اللوحات الفسيفسائية التي كانت تصنع من القطع الحجرية الصغيرة المشدبة، ويضمها إطار فسيفسائي واحد يغطي حواشي اللوحة، بالإضافة إلى الزخارف الهندسية.

النوع الثاني: يعرف باسم (أوبوسكتايل):

هي اللوحات التي كانت تصنع من قطع من الفسيفساء، التي يتم بها تجسيد فكرة اللوحة، ويدخل أيضا في صناعتها قطع من الرخام والمرمر، وكانت عادة تشكل في أشكال هندسية مختلفة في وسط اللوحة أو على جوانبها، ومن أحسن نماذج هذا النوع في ليبيا اللوحة التي تمثل الفصول الأربعة المعروضة بالمتحف الوطني.

النوع الثالث : يعرف باسم (اوبوسفيرميكولاتوم)

هي اللوحات التي كانت تصنع من قطع الفسيفساء الصغيرة (بعضها من عجينة زجاجية)، وكانت اللوحات من هذا النوع مركبة، إذ تحتوي اللوحة على أكثر من موضوع، ويفصل كل منها عن الآخر إطارات فسيفسائية داخلية، تجعل منها باقة من الأفكار والمواضيع في لوحة واحدة .

الدراسة التحليلية للوحات الفسيفساء الليبية : (القيم الجمالية والفنية)

أولاً: نماذج من فسيفساء قصر ليبيا:



لوحة رقم 1 عازف القيثارة وكلبه تحت الشجرة فسيفساء قصر ليبيا

وصف اللوحة:

تعد هذه اللوحة نموذج جيد لفسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا واللوحة مستطيلة الشكل وتتكون من ثلاثة أجزاء:

- 1 - الإطارات الخارجية: وهو عبارة عن زخرفة بسيطة .
- 2 - خلفية اللوحة: وهي عبارة عن أرضيات من حصى الفسيفساء الحجرية الصغيرة المشذبة، مستخدما لون واحد فقط لإظهار اللوحة، وقد برع الفنان في طريقه رص القطع الحجرية مكونا خلفية العمل الفني.

3 - مركز اللوحة: ويدور حول الرجل عازف القيثارة، الذي يجلس فوق صخرة في منتصف اللوحة ويمسك بيده قيثارة، ونشاهد يداها اليمنى واليسرى على القيثارة متخذاً وضع العزف، ونشاهد في يمين اللوحة الكلب جالس خلف العازف، وعينة تنظر إليه وكأنه يستمع إلى الحان العازف، وعلى يسار اللوحة شجرة وكأن العازف يجلس تحتها ليحتمي من ظل الشمس، ولكن الفنان هنا لم يبرع في رسم تفاصيل الشجرة، فيظهر التناسب في الأحجام ضعيفا في اللوحة بين (حجم الراعي وحجم الشجرة) فيبدو شكل الشجرة غريبا. ونشاهد أسفل العازف صخرة وكأن اللوحة قسمت إلى قسمين: قسم أمامي متمثل في العازف وهو يجلس على الصخرة، والقسم الخلفي يضم الكلب والشجرة ثم الخلفية، التي تلعب دورا مهما في إبراز المنظر العام للوحة، حيث يلاحظ أن اللون البني بدرجاته هو اللون السائد في اللوحة، فنجد مستخدما في وجه العازف ويداه اليمنى واليسرى ورجلاه اليمنى واليسرى، وفي أوراق وجذوع الشجرة وكذلك الكلب كما استخدم الفنان الظل والنور لإظهار تفاصيل ملابس العازف، وكذلك الكلب الجالس وجذع الشجرة، فقد عمد الفنان إلى الإيحاء بالتجسيم باستخدام درجات الظل والنور مستخدما درجات اللون البني، فجاءت الألوان نقية وصافية ومتباينة، فقد نجح الفنان في تحقيق التوازن في اللوحة عن طريق توزيع الألوان، فنشاهده في توزيع اللون البني في أوراق الشجرة واذرع وأرجل العازف.



لوحة رقم 2- "فسيفساء منارة الإسكندرية قديما" قصر ليبيا

وصف اللوحة:

تعد فسيفساء قصر ليبيا أروع ما عثر عليه من فسيفساء في ليبيا في العصر البيزنطي، من حيث موضوعاتها الزخرفية وتنوع مشاهدتها.

وتعتبر لوحة «منارة الإسكندرية القديمة» إحدى اللوحات النادرة التي تصور جزءاً من منارة الإسكندرية، إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة، التي بنيت في عهد بطليموس الثاني (246-285 ق.م.) ودمرت في زلزال عام 1302م، ولم يبق إلا هذه اللوحة لتوضح شكلها، واللوحة مستطيلة الشكل وقد نفذت بقطع من الحصى الأبيض والأسود والبني والعسلي، و«نشهد في وسط اللوحة رجلاً واقفاً فوق منارة الإسكندرية ويظهر وعلى رأسه رمز وثني (اله الشمس هيليوس)، للدلالة على نور الدين الجديد، فيعكس قرص الشمس أشعتها على الرجل الواقف يساره، الذي يمد ذراعيه كرمز على هداية البحريين في بحور الوثنية ” (ابوزعنين 2006)، فنلاحظ أن الفنان في اللوحة لم يهتم بتفاصيل الوجه أو بملابس الرجلان، ونشهد أيضاً في وسط اللوحة تسلسلاً تكرارياً لمبنى منارة الإسكندرية، وقد لونت جميعها باللون العسلي والبني والأبيض، وكذلك نشاهد تكرار للخطوط الهندسية في وسط اللوحة من أسفل وأعلى وهي لربط الشكل الذي يكون في النهاية منارة الإسكندرية، فيحدث نوعاً من تكرار الوحدة في اللوحة، وكذلك نرى في يمين اللوحة تكراراً لخطوط راسية، تنتهي بأنصاف دوائر مكونة في مجملها المبنى الواقف عليه الرجل يمين اللوحة.

ثانياً- نماذج من فسيفساء فيلا سلين:



لوحة³ (فسيفساء أورفيوس «فيلا سلين»)

وصف اللوحة :

استطاع الفنان في هذه اللوحة أن يجسد أسطورة أورفيوس وهو سادن معبد الآلهة أبولو (رب الموسيقى) وأمه الآلهة كاليوبي (آلهة الشعر) في العالم الوثني، وتحكي الأسطورة أن

أورفيوس تزوج من يورديكا التي ماتت بعد أيام من الزواج بسبب لدغة حية، ولم يتمكن أورفيوس من نسي محبوبته رغم مرور الزمن، وعبر عن حزنه في الحان كان يعزفها ويغنيها، مما جعل الحيوانات والطيور وبعض الزواحف السامة تنصت إلى ألقانه وغنائها الحزين حتى نسيته غرائزها المتوحشة، «فوقفت بجانب بعضها تصغي إليه في سلام وهدوء بالرغم من العداء المستحكم والصراع الأزلي فيما بينها، فنلاحظ في هذه اللوحة أن الفنان وضع الأعداء بجانب بعضهم البعض؛ فالأسد يقف إلى جانبه الآيل في اطمئنان وهدوء، رغم أنه في الواقع طعامه المفضل، وكذلك بجانب النمر والفهد والضبع وكأنهم جميعا في حالة انبهار كامل بما يسمعون من غناء وعزف أورفيوس الحزين، فنشاهد الفنان قد استغل الطيور الموجودة خلفه لإعطاء عمق للوحة ولعدم ترك فراغات في خلفية اللوحة. (انمس: 1977).



لوحة رقم 4 نماذج من فسيفساء فيلا سلين: (لوحة هزلية)

وصف اللوحة:

تعتبر هذه اللوحة نموذجًا جيدًا لأعمال الفسيفساء الموجودة في فيلا سلين، والمنفذة بطريقة الحصى وهي مستطيلة الشكل، وهي من اللوحات التي يمكن اعتبارها تمثل نظرة هزلية ساخرة تم فيها «تجسيد» البيجمالي»، وهم أقزام يسكنون بجوار مستنقعات وادي النيل بأواسط أفريقيا، حيث تم تجسيد هؤلاء الأشخاص في لوحات مختلفة في مناظر تجري وقائعها في نهر النيل، تمثل مواقف خيالية مضحكة في قالب هزلي يمكن اعتبارها بداية لفن الكاريكاتير. (أبوزمينين 2006).

فنشاهد في على يسار اللوحة منظرا لطائر في وضع انقضاض على قزم ملقي على الأرض، ويداه اليمنى خلف ظهره، وكأنه يمسك بعصى أو سلاح، واليسرى تمسك بدرع يحاول جاهداً أن يدافع به عن نفسه من الطائر، فيظهر لنا القزم وعلى وجهه علامات الخوف والفزع من انقضاض الطائر عليه فنرى الطائر منقضا على القزم مستخدماً منقاره الطويل وقدمه اليمنى ومركزاً على قدمه اليسرى رافعاً جناحية لأعلى وعيناه تنظر إلى القزم وكأن الطائر يدافع عن نفسه من هجوم القزم عليه، ونشاهد في يمين اللوحة قزم صغير ممسكاً في يده اليمنى سيف وهو ينظر إلى الطائر والقزم الآخر، وتظهر على وجهه علامات القلق والترقب لنتيجة القتال الدائر بين الطائر والقزم الآخر، وتميزت الزخارف النباتية بالتنوع والحركة طولاً وعرضاً، مما جعل العين تتحرك في اللوحة يميناً ويساراً، ونلاحظ إن الفنان برع في استخدام تدرجات اللون الرمادي في الطائر وتدرجات اللون البني في أجسام القزمين وكذلك في الخلفية المنفذة باللون الفاتح، فقد نَوَّعَ الفنان في أحجام الحصى للإيحاء بالبعد، فكأن اللوحة قسمت إلى قسمين: الأمامي يمثل الطائر والقزم والخلفي يمثل القزم الثاني مع الزخارف النباتية.

ثالثاً- نماذج من فسيفساء مدينة لبدة :



لوحة رقم 5 لوحة صيد الاسماك بمدينة لبدة



جزء مفصل من لوحة رقم 5 (يمين اللوحة) صيد الأسماك بمدينة لبدة

وصف اللوحة:

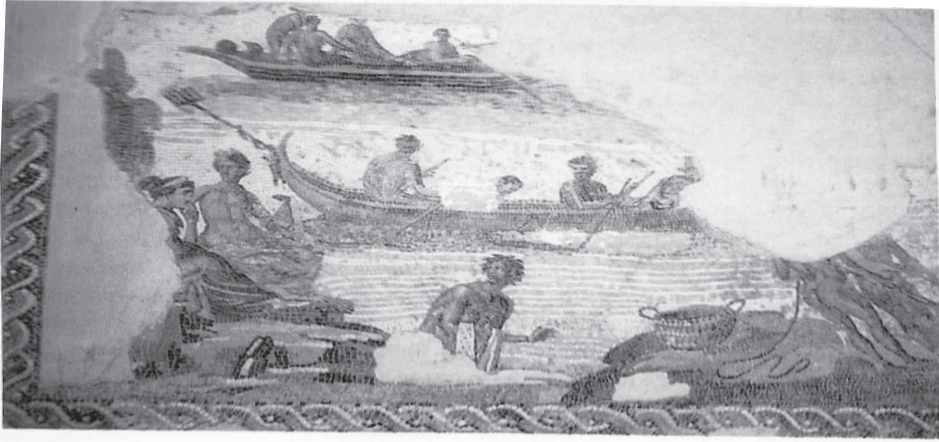
هي من اللوحات الفسيفسائية التي تعطي لمحة عن أحد جوانب النشاطات الاقتصادية، فهي تمثل صيد الأسماك التي عثر عليها في فيلا النيل بمدينة لبدة، وهي تعبر أصدق تعبير عن طرق الصيد المحلي المختلفة المتبعة، التي مازالت تتبع حتى وقتنا الحاضر، فعلى يمين اللوحة يجلس صياد مسن على صخرة شاطئية مرتفعة ممسكا بيده قصبه صيد يقوم بتجهيزها بأخذ الطعم من إناء صغير موضوعا يساره، فبرع الفنان في تجسيد جسد الصياد المسن مترهل نوعا ما فجزئه العلوي ممتلئ، أما الجزء السفلي وبالتحديد ساقاه وفخذه نحيلتان نوعا ما، أما الوجه فتظهر عليه علامات الشيخوخة، وكذلك شعر الرأس والشارب والذقن فبرع في تصويرهم باللون الأبيض تعبيرا عن التقدم في العمر، فبرع الفنان في تجسيد الصياد المسن وهو يمسك بقصبه الصيد، وكذلك في طريقه وضع الطعم في صنارته، وبرع كذلك في خيط المتدلي من قصبه الصيد، واستخدم الفنان اللون البني في تجسيد الصياد المسن مستخدما درجات اللون البني لإظهار تفاصيل جسم الصياد ووجهه، والتكوين الجسماني الذي يمثله الفنان في وضعية جلوس الصياد المسن يتناسب مع عمرة ومقدرته، أما الصياد الشاب الذي يجلس على يمين الصياد المسن فنراه وهو

يمسك بيده اليسرى قصبه اصطاد بها سمكة، يقوم بإخراجها من الماء بسحبها ووضعها في شبكة يدوية ممسكاً بها بيده اليمنى، فقد جعله الفنان في وضعية حركية تدل على القوة واللياقة البدنية، وجعل معالم جسمه في حالة تناسق في التقاطيع والعضلات التي تتناسب مع سنة ومهنته.



جزء مفصل من لوحة رقم 5 (منتصف اللوحة) لوحة صيد الأسماك في لبدّة

نشاهد في منتصف اللوحة صياد آخر داخل البحر يستعد لإلقاء شبكته ماسكاً إياها بيده اليسرى ويده اليمنى داخل المياه، فالفنان هنا جسّد هذا الصياد مفتول عضلات الذراعين والصدر والكتفين، فهو يقوم بالصيد والعموم وسط الماء، وهذا يتطلب جهداً وقوة أكبر من الجهد المبذول عند الصيد على الشاطئ، ونشاهد كذلك في وسط اللوحة مجموعة من الأسماك بأحجام وحركات مختلفة في اتجاهات متفرقة يميناً ويساراً من أعلى وأسفل اللوحة؛ مما جعل العين تتحرك في اللوحة.



جزء تفصيلي يسار اللوحة رقم 5 (صيد الأسماك في لبدّة)

ونشاهد على يسار اللوحة ثلاثة رجال يسحبون شباكهم من الماء وخلفهم سلة موضوعة على الصخر، ورجل آخر على الشاطئ تدل وضعية جسده على أنه يقوم بسحب شبكته، وفي البحر قاربان بهما مجموعته من الصيادين متوجهين للصيد أو عائدين من رحلة صيد، فقد برع الفنان في عمل بانوراما حية لطرق الصيد المختلفة في ذلك الوقت .

رابعاً - نماذج من فسيفساء وادي لبدّة في ليبيا



لوحة رقم 6 المجالد الصريع

وصف اللوحة:

نشاهد في لوحة المجالد الصريع ألوان غاية في البريق والصفاء (مجالدين أحدهما على يمين اللوحة قد سقط صريعاً نحو الخلفية ملقى على ظهره في منظور ثلاثي الأبعاد، لا يبدو من رأسه سوى الذقن، أما وجهه فقد سقط إلى الخلف تماماً، وقد سالت من جسمه الدماء، وعلى يسار المجالد الصريع نشاهد درعه وسيفه وهما ملقيان على الأرض بجانبه وعلى يسار اللوحة جلس المجالد الثاني، وقد بدأ عليه الإنهاك والتعب، واضعاً يده اليسرى الماسكة بالسيف فوق ركبته اليسرى المجروحة، التي تلفها ضمادة وهي مثنية بوضع عمودي على الأرض، فيما تبدو الجروح على جسده بوضوح وترتسم على وجهه أمارات الهلع والرعب وكأنه ينظر إلى المجالد الصريع، ونشاهد في وسط اللوحة خوذة المجالد وحربته وهما ملقيان على الأرض.

خامسا - نماذج من فسيفساء بدار بوك عميرا بزليطن :



لوحة رقم 7 الفصول الأربعة

وصف اللوحة:

فسيفساء من أرضية قصر روماني كشفت عنه الحفريات فوق رابية تطل على ليح صغير يقع بالقرب من مرفأ زليطن، موقع البيت وغرفته الفخمة وحماماته الخاصة تشير بوضوح إلى مدى الترف الذي أحاط به الرومان أنفسهم على حساب شعوب المستعمرات، لكن الإشارة

الأكثر وضوحاً تأتي من لوحة الفسيفساء نفسها، فالمواطن الروماني كان ينعم بعطلات رسمية طويلة إلى حد ملفت للنظر بلغت في عصر كلوديوس حوالي 200 يوم في السنة، وكانت طريقته في قضاء كل هذا الوقت الطويل مقتصرة دائماً وفي جميع الفصول على الصيد فالبهر والبحر والبر .

أن السنة مقسمة إلى أربعة فصول، الصيف إلى أسفل، والشتاء إلى أعلى، والربيع والصيف على اليسار واليمين، وكل فصل لا يعني لدى المواطن الروماني سوى أنه موسم لصيد حيوانات معينة، ويصل طول اللوحة إلى تسعة أمتار تتكون من ثلاث لوحات متكاملة، فنشاهد على يمين اللوحة من أعلى منظراً لأسماك مختلفة الأشكال في وضع حركي متعدد، فتظهر الأسماك وكأنها تحاول الاختباء، ونشاهد أيضاً يمين اللوحة من أسفل منظراً لصيد الطيور، ونجح الفنان في التعبير عن حركات الطيور في وضع الانقضاض على الصائد الموجود الذي يحاول استخدام درعه لردع الحيوانات، ونشاهد في يسار اللوحة من أعلى مناظراً لصيد الغزال وبعض الطيور مع كلب الصيد المدرب وفي وسط اللوحة من اليسار تكرار للأسماك الموجودة في يمين اللوحة لكن مع تغير حركات الأسماك.

أما في يسار اللوحة من الأسفل نشاهد منظراً للصيد باستخدام قارب صغير، ونجح الفنان في التعبير عن حركه الصيد، فنشاهد شخصان الأول يقوم بالتجديف والثاني يقوم بسحب شبكة الصيد، أما في منتصف اللوحة فنشاهد أشكالاً لأشخاص تكاد نظراتهم ثابتة إلى اتجاه معين وهو السماء فنشاهد فصل الصيف إلى أسفل، والشتاء إلى أعلى والربيع والخريف على اليسار واليمين، ونلاحظ أن الفنان برع في استخدام تدرجات اللون البني في الطيور والأسماك والأشخاص وملابسهم وفي البرواز المحيط باللوحة، ونجح كذلك في تدرجات اللون البرتقالي في الخلفية المنفذة باللون الفاتح، فقد نوع الفنان في أحجام الحصى والأشخاص والطيور والأسماك فاللوحة قسمت إلى أربعة أقسام في اليمين واليسار مناظر الصيد وفي الوسط أربعة أشخاص للتعبير عن الفصول الأربعة.

وتحدث خبير الآثار الليبي أحمد محبوب عن لوحة الفصول الأربعة، بأنها تبرز جميع القيم الفنية والتاريخية والإنسانية في قطعة فنية واحدة، وكان خبراء آثار بريطانيون وصفوا هذه القطعة مؤخراً بأنها من «أروع أعمال الفسيفساء التي اكتشفت في ليبيا». (النيهوم، 1977).

3. النتائج والتوصيات

أولا النتائج:

1. أثبتت الدراسة أن فسيفساء العصر البيزنطي في ليبيا، استمدت عناصر تكويناتها من البيئة المحيطة بها.

2. أثبتت الدراسة وجود علاقة بين لوحات الفسيفساء البيزنطية في جميع الأراضي الليبية في الموضوعات المنفذة، سواء كانت موضوعات اجتماعية أو اقتصادية أو رياضية.

3. أثبتت الدراسة ظهور تأثيرات خارجية أسهمت في تكوين وتصميم هذه الأعمال الفسيفسائية، كفسيفساء مدرسة الإسكندرية وفسيفساء شمال أفريقيا في تونس.

ثانيا التوصيات:

1. تتأشد الباحثة هيئة الآثار الليبية على زيادة الاهتمام بالفسيفساء الليبية، وذلك بعمل تصنيف لجميع أعمال الفسيفساء الموجودة في المدن الليبية، على أن تصنف هذه الأعمال في أجزاء فمثلا: فسيفساء الحياة الاجتماعية- فسيفساء الحياة الاقتصادية - فسيفساء مباريات المبارزةالخ) في مطبوعات مع تحليل لهذه الأعمال الفنية.

2. الاهتمام بتدريس تقنيات الفسيفساء في الكليات الفنية المتخصصة، وتخصيص أقسام متخصصة لهذه التقنية.

3. مناشدة الهيئات البحثية والمؤسسات التعليمية والوزارات المعنية بالثقافة والعلوم، بتزويد المكتبات الجامعية بمزيد من الكتب عن التاريخ الليبي عامة.

4. الحفاظ على أعمال الفسيفساء الليبية واستخدام الأساليب الحديثة في العرض المتحفي لها.

المراجع

- 1 - الصادق النهوم: موسوعة تاريخنا الجزء الثالث، دار التراث، طرابلس، ليبيا(1977م، ص 240، 241).
- الصادق النهوم: موسوعة تاريخنا الجزء الثالث، دار التراث، طرابلس، ليبيا 1977م، ص 127 لوحة 54.
- 2- انور ابو زعينين: فن الفسيفساء في ليبيا قصائد من حجر، المطابع الليبية (دار طة للطباعة)، طرابلس، الطبعة الأولى (2006م ص22).
- المرجع السابق. (أبو زعينين : 2006ص 74 » (ابوزعينين 2006 ص 98).
- 3- عبد الباقي الهرماس: فنون تونسية "الفسيفساء" (2004. ص 89).
- 4 - على مسعود البلوش، تاريخ الفن، المركز الوطني لتخطيط التعليم والتدريب، طرابلس، (2003م ص 25) -المرجع السابق ص128.
- 5- مجدي سعيد الطنطاوي، تطوير تقنيات ترميم وصيانة أعمال الفسيفساء، رسالة دكتوراه "غير منشورة، جامعة الإسكندرية "كلية الفنون الجميلة. (2000م ص 10).
- 6 - عبير عبد المحسن قاسم: فن الفسيفساء الروماني، ملتقى الفكر الإسكندرية، مجلة محكمه (1999، م ص19).
- 7- عياد موسي العوامي: أوراق في تاريخ الفن، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، (2003م ص54).
- 8- محي الدين طالو: فنون زخرفيه ومعمارية عبر التاريخ، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، الطبعة الأولى، (1999 م ص 91).
- 9- عبد العزيز النمى، وآخرون دليل متحف السرايا الحمراء، طرابلس، الإدارة العامة للبحوث والمحفوظات التاريخية بمصلحة الآثار، 1977 م، ص 149).

10- <http://www.al-hadarat.com/threads/10371> ص11

القيم الفنية والجمالية للفسيفساء البيزنطية بليبيا (دراسة تحليلية جمالية لفسيفساء قصر ليبيا وفيللا سيرين وزليطن)

* د . فضيلة مصباح إسماعيل

Abstract

Background: studying and analyzing samples of the Byzantine mosaics in Libya and also the used materials would enable the researchers to study the aesthetic values toward this art. Hypostasis: 1- the Byzantine mosaics in Libya derived elements of composition of the surrounding environment. 2- existence relationship between the Byzantine mosaics in all Libyan territory. 3-The external influences contributed to the design of this mosaic work. Aims:1- Provide information about the Byzantine mosaics in Libya. 2- Doing an artistic, descriptive and analytical study for the Byzantine mosaics in Libya .Search limits: 1-temporal limits: Mosaics in Libya of the years (533 AD -642 AD). 2- Spatial limits: Mosaic Libya (Libya Palace - Villa Celine - Sabratha - Shahat - Zliten–Al-Khums) .Research Methodology: Historical, analytical and descriptive approach. Results: 1- Byzantine mosaics in Libya derived elements of composition of the surrounding environment. 2- The study demonstrated that there is a relationship between the Byzantine mosaics in all Libyan territory in the subjects executed, whether social, economic or sports themes.